والجد في الهرب ولكن قد ضرب عليه حجاب الغفلة ليقضي الله امرا كان مفعولا فلو تيقظ حق التيقظ
لتقطعت نفسه في الدنيا حسرات على ما فاته من حظه العاجل والآجل من الله وانما يظهر له هذا حقيقة
الظهور عند مفارقة هذا العالم والاشراف والاطلاع على عالم البقاء فحينئذ يقول يا ليتني قدمت لحياتي
ويا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ولما كان الشر هو الآلام واسبابها كانت استعاذات النبي صلى الله
عليه وسلم جميعها مدارها على هذين الاصلين فكل ما استعاذ منه او امر بالاستعاذة منه فهو اما مؤلم
او سبب اليه فكان يتعوذ في آخر الصلاة من اربع وامر بالاستعاذة منهن وهن عذاب النار وعذاب
القبر فهذا اعظم المؤلمات وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال وهو ان السبب العذاب المؤلم
والفتنة سبب العذاب وذكر الفتنة خصوصا وعموما وذكر نوعي الفتنة اما في الحياة واما بعد الموت
ففتنة الحياة فقد يتراخى عنها العذاب مدة واما فتنة الممات فيتصل بها العذاب من غير تراخ
فعادت الاستعاذة الى الالم والعذاب واسبابهما وهذا من اكد ادعية الصلاة حتى اوجب بعض السلف
والخلف على من صلى ان يدعو به في التشهد الاخير واوجبه ابن حزم في كل تشهد فان لم يأت به فيه بطلت صلاته
ومن ذلك قوله اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة
الرجال فاستعاذ من ثمانية اشياء كل اثنين منها قرينان فالهم والحزن قرينان وهو من الام الروح
ومعذباتها والفرق بينهما ان الهم توقع الشر في المستقبل والحزن التألم على حصول المكروه في الماضي
او فوت المحبوب فكلاهما تألم وعذاب يرد على الروح فان تعلق بالماضي سمي حزنا وان تعلق بالمستقبل
سمي هما والعجز والكسل قرينان وهما من اسباب الالم لانهما يستلزمان فوات المحبوب فالعجز يستلزم
عدم القدرة عليه والكسل يستلزم عدم الارادة فتتألم الروح لفواته بحسب تعلقها به والتذاذها
بادراكه لو حصل والجبن والبخل قرينان لانهما عدم النفع بالمال والبدن وهما من اسباب الالم
لان الجبان تفوته محبوبات ومفرحات لا تنال الا بالبذل والسخاء وملذوذات عظيمة لا تنال الا
بالشجاعة والاقدام فالجبن يحول بينه وبينها والبخيل تفوته محبوبات ومفرحات لا تنال الا بالبذل
والسخاء فالبخل يحول بينه وبينها ايضا فهذان خلقان من اعظم اسباب الالم وضلع الدين وقهر
الرجال قرينان وهما مؤلمان للنفس معذبان لها احدهما قهر بحق وهو ضلع الدين والثاني قهر
بباطل وهو غلبة الرجال وايضا فضلع الدين قهر بسبب من العبد في الغالب واما غلبة الرجال فهي بغير
اختياره ومن ذلك تعوذه صلى الله عليه وسلم من المأثم والمغرم فانهما سبب الالم العاجل والآجل
ومن ذلك قوله اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك فالسخط سبب الالم والعقوبة
هي الالم فاستعاذ من اعظم الالام واقوى اسبابها

فصل

والشر المستعاذ منه
نوعان احدهما موجود يطلب رفعه والثاني معدوم يطلب بقاؤه على العدم وان لا يوجد
كما ان الخير المطلق نوعان احدهما موجود فيطلب دوامه وثباته وان لا يسلبه والثاني معدوم
فيطلب وجوده وحصوله فهذه الاربعة هي امهات مطالب السائلين من رب العالمين وعليها مدار
طلباتهم وقد جاءت هذه المطالب الاربعة في قوله تعالى حكاية عن دعاء عباده في آخر آل عمران في قوله

ربنا اننا

ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار
فهذا طلب لدوام الخير الموجود وهو الايمان حتى يتوفاهم عليه فهذان قسمان ثم قال ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
ولا تخزنا يوم القيامة فهذا طلب ان لا يقع لهم الشر المعدوم وهو خزي يوم القيامة فانتظمت الآيتان المطالب الاربعة
احسن انتظام مرتبة احسن ترتيب قدم فيها النوعان اللذان هما في الدنيا وهما المغفرة ودوام الاسلام الى الموت
ثم اتبعا بالنوعين اللذين هما في الآخرة وهما ان يعطوا ما وعدوه على السنة رسله وان لا يخزيهم يوم القيامة
اذا عرف هذا فقوله صلى الله عليه وسلم في تشهد الحاجة ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا تناول الاستعاذة
من شر النفس الذي هو معدوم لكنها فيها بالقوة فيشاء ان يوجد واما قوله سيئات اعمالنا
ففيه قولان احدهما انه استعاذة من الاعمال السيئة التي قد وجدت فيكون الحديث قد تناول نوعي
الاستعاذة من الشر المعدوم الذي لم يوجد ومن الشر الموجود فطلب رفع الاول ورفع الثاني والقول
الثاني ان سيئات الاعمال هي عقوباتها وموجباتها السيئة التي تسوء صاحبها وعلى هذا يكون من استعاذة
الدفع ايضا لكنه دفع المسبب والاول دفع السبب فيكون قد استعاذ من حصول الالم واسبابه وعلى الاول
اضافة السيئة الى الاعمال من باب اضافة النوع الى جنسه فان الاعمال جنس وسببها نوع وعلى الثاني يكون
من باب اضافة المسبب الى سببه والمعلول الى علته كانه قال من عقوبة عملي والقولان محتملان فتأمل ايهما
اليق بالحديث واولى به فان مع كل واحد منهما نوع من الترجيح فرجح الاول ان منشأ الاعمال السيئة من شر
النفس فشر النفس يولد الاعمال السيئة واستعاذ من صفة النفس ومن الاعمال ويترجح الثاني بان سيئات
الاعمال هي العقوبات التي تسوء العامل واسبابها من شر النفس فاستعاذ من العقوبات والآلام واسبابها
والقولان في الحقيقة متلازمان والاستعاذة من احدهما يستلزم الاستعاذة من الآخر

فصل

ولما كان الشر له سبب هو مصدره ومورده ومنتهاه وكان السبب اما من ذات العبد واما من خارج
ومورده ومنتهاه اما نفسه واما غيره كان هنا اربعة امور شر مصدره من نفسه ويعود على نفسه تارة
وعلى غيره اخرى وشر مصدره من غيره وهو السبب فيه ويعود على نفسه تارة وعلى غيره اخرى جمع النبي
صلى الله عليه وسلم هذه المقامات الاربعة في الدعاء الذي علمه الصديق ان يقوله اذا اصبح واذا امسى واذا اخذ مضجعه
اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك
من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وان اقترف على نفسي سوءا او اجره الى مسلم فذكر مصدري الشر وهما
النفس والشيطان وذكر مورديه ونهايتيه وهما عوده على نفسه وعلى اخيه المسلم فجمع الحديث مصادر
الشر وموارده في اوجز لفظ واخصره واجمعه

فصل

فاذا عرف هذا فنتكلم على
الشرور المستعاذ منها في هاتين السورتين الشر الاول العام في قوله من شر ما خلق
وما ههنا موصولة ليس الا والشر مسند في الآية الى المخلوق المفعول لا الى خالق الرب تعالى الذي هو فعله
وتكوينه فانه لا شر فيه بوجه ما فان الشر لا يدخل في شيء من صفاته ولا في افعاله كما لا يلحق ذاته تبارك وتعالى
فان ذاته لها الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه واوصافه كذلك لها الكمال المطلق والجلال
التام ولا عيب فيها ولا نقص بوجه ما وكذلك افعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها اصلا ولو فعل الشر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)